

انتشار اللغة

لهن بحري إسلامها في الواقع الحضاري

الاستاذ زكي نجيب محمود
- القاهرة -

ان معظم جهدنا اليوم بازاء تطوير اللغة العربية منصرف الى متابعة ما يتقدم به العالم الخارجي من علوم وفنون وآداب ، فكلما جاءنا من هناك جديد ، ولم نجد له لفظا عندنا يساويه ، التمسنا سبيلا الى نقله على اية صورة من الصور التي نتفق عليها ، واذا كان هذا هو موقفنا الفكري ، فما الذي يدفع الدارس او المثقف في بلد اجنبي الى دراسة لغتنا ؟ لماذا يتعلمها وهو يدري ان مدى جهدنا هو ان نلحق به ؟

اعود لاؤكد انه لا انتشار للغة الا بمقدار غزارة الاضافة الفكرية التي تضيفها ، فالى ان يعلن فكرنا الجديد عن نفسه في ارجاء العالم ، علينا ان ننقل الى ذلك العالم كل ما نتوسم فيه الجدة من فكرنا وادبنا ، لعل هذا القليل الذي ننقله يكون فاتحة للكثير الذي نتنتجه فينتقله الناطقون عنا ، كما نقلوا عنا بالامس ، وكما ننقل نحن عنهم اليوم .

2 - اعتقد ان الاجابة عن هذا السؤال متضمنة في الاجابة عن السؤال الاول ، ومع ذلك فاني اضيف هنا ضرورة التيسير في قواعد اللغة العربية تيسيرا يزيل عنها التعقيد دون ان يمس جوهرها وخصائصها ، كما اضيف ضرورة التيسير في الاشتقاق وفي التعريب فنجيز كثيرا مما لا نجيزه اليوم ، فضلا عن ضرورة تقريب الشقة بين الفصحى والعواميات (لان العامية تختلف باختلاف الاقطار) حتى يزول ازدواج ، فتزول الحيرة التي تعترض الدارس من غير ابناء اللغة .

3 - اللغة العربية تصلح للتعليم الجامعي كل الصلاحية ، واحب في هذا الصدد ان انكر النقاط الآتية :

1 - اللغة هي نفسها الفكر ، وبمقدار ما يتسع الفكر عند الانسان يكون اتساع حصيلته اللغوية ، اذ لا وجود لفكرة بغير لفظ يحملها ، كما انه ينبغي الا يكون وجود للفظ اجوف ، بغير فكرة يشير اليها ، وان صاحب اللغة كلما صادفته - في غير لغته - فكرة جديدة واراد نقلها الى لغته دون ان يجد لها في هذه اللغة لفظا يكافئها ، اخطر الى خلق لفظ جديد في لغته - اما اشتقاقا او تقريبا - ليقابل به تلك الفكرة الجديدة .

فاذا بدأنا من هذه النقطة الواضحة ، وهي ان اللغة والفكر جانبان لموقف واحد - فلا لغة بغير فكر ولا فكر بغير لغة - انفتح امامنا طريق الاجابة عن السؤال المذكور .

فاهم المشاكل التي تعترض سير اللغة العربية ، هي اولا - ان ليس لدى ابناءها اليوم فكر جديد تقدمه الى سائر اجزاء العالم ، بحيث يضطر الدارسون والمثقفون في ارجاء العالم اضطرارا الى الاقبال على لغتنا التماسا لفكرنا الجديد ، الا فلنعلم ان الدارسين والمثقفين - عند غيرنا على السواء - هم صيادو افكار قبل كل شيء ، فاذا عرف العالم ان في لغتنا الجديدة فكرا جديدا ، اقبل الدارسون والمثقفون على لغتنا ابتغاء ما فيها من فكر جديد فلماذا اضطر العالم الاوروبي في العصور الوسطى - ايام ازدهار الفكر العربي - الى تعلم اللغة العربية والترجمة عنها ؟ لانهم كانوا يترنمون بانغامها من حيث هي الفاظ ذات جرس وابتاع ؟ ام كان ذلك لانهم علموا انها مطوية على ثقافة جديدة وفكر جديد ؟ فدرسوها وترجموها لينتفعوا بها جاءت تحمله من مضمون خصب غزير .

ومعنى هذه التفرقة التي قدمناها انه بينما لا تضطرنا الضرورة لتعليم الالف من ابنائها الجامعيين بلغة غير لغتهم ، فانه في الوقت نفسه شرط ضروري لطلاب الدراسات العليا - ما بعد الدرجة الجامعية - أن يتابعوا دراساتهم مستعينين باللفات الأجنبية .

4 - أن أهم مشكلة تعترض الاساتذة في التدريس الجامعي هي مشكلة المصطلحات العلمية ، اذ لابد من تعريب تلك المصطلحات ، أو ترجمتها (اعني بالترجمة ايجاد لفظ عربي مقابل للفظ الاجنبي) . وأعني بالتعريب ايجاد صياغة عربية للكلمة (الفرنجية ذاتها) .

لكن ينبغي أن يكون هنالك اتفاق بين العلماء العرب على المصطلحات الجديدة في صورتها العربية ، حتى لا تحدث بلبلة للدارسين .

وقد يعترض احيانا بأن المصطلحات العلمية عالمية بحكم طريقة بنائها اللغوي ، اذ هي تبني من مقاطع لاتينية تحمل المعنى ، ولا يشق على أي عالم مهما كانت لغته أن يألّفها لفظا ومعنى ، وهنا نقول انه في أمثال هذه الحالات نلجأ الى التعريب لا الى الترجمة ، بل وقد نلجأ الى الإبقاء على بعض الصيغ العلمية والمعادلات الرياضية المشهورة في العلوم في صورتها الامرنجية نفسها .

ولا يجوز على أي حال لاية مشكلة ان تعوق نقل العلوم الى العربية ، لما في ذلك من اثرء للغة ومن نهوض بالحركة الفكرية بمعناها الواسع العريض .

أ) كانت « كل » المواد الدراسية - في المدارس المصرية - الى اوائل هذا القرن ، تدرس باللغة الانجليزية ، ثم عرب بعضها فتيسر تدريسها بالعربية ، ولم يعرب بعضها الآخر - وخصوصا في مجال العلوم - فظل حتى اليوم يدرس باللغة الانجليزية ، وأحسب ان لو بقي الحال على ما كان عليه في اوائل القرن ، لظن المعترضون على التعريب بأن تدريس التاريخ والجغرافيا والرياضة وعلم النبات وعلم الحيوان والفلسفة والجيولوجيا وغير ذلك من العلوم التي عربت ، أمر متعذر ، كما يظنون اليوم ان العلوم الباقية بغير تعريب تستعصي على التعريب .

ب) لابد من التفرقة بين هدفين من اهداف التعليم الجامعي ، اولهما تخريج المهنيين الذين يزاولون مهنتهم في الحياة العامة ، من طب وهندسة وتعليم الخ... وثانيهما تخريج العلماء الذين تقع عليهم تبعة البحث العلمي سواء كان ذلك في مناصب الاستاذية بالجامعات ذاتها ، او في مراكز البحوث العلمية المتخصصة .

فأما الاولون فهم لا يطلب منهم - بالدرجة الاولى - أن يتابعوا تيارات البحوث العلمية في الخارج ، بلغاتها الأجنبية ، ويكتفيهم ان يتابعوا البحوث الجديدة فيما ينشره مواطنوهم العلماء في الدوريات والمؤلفات العربية ، وأما الآخرون فهم الذين يلزمهم بالضرورة تعلم اللغات الأجنبية ليسهموا في حركة البحث العلمي في أرجاء العالم .